مقدمة الناشر

المجتمع في كل مرحلة من مسيرته يحتاج إلى ثقافة واعية هادية، تبصّره بواقعه، وتفتح أمامه آفاق الطموح والتطوير، وتعينه على مواجهة التحديات والصعاب.

ولكي تؤدي الثقافة دورها في بناء المجتمع، وتفعيل طاقاته، وشحذ هممه نحو التقدم، لابد وأن تتمتع بالمواصفات التالية:

ـ أن تكون أصيلة نابعة من قيم المجتمع الدينية الصحيحة.

ـ وان تكون معاصرة تواكب تغييرات الحياة، وتطورات الفكر.

ـ وان تنبثق عنها برامج عملية تستوعب حاجات المجتمع ومتطلباته.

ـ وان تمتلك لغة التخاطب مع الناس في شرائحهم ومستوياتهم المختلفة واهتماماتهم المتعددة، دون الاغراق في التنظير التجريدي والمصطلحات التخصصية المتداول في الخطاب النخبوي، لأن التخاطب مع الجمهور يحتاج إلى أكبر قدر من الوضوح، ومعالجة قضايا الواقع المعاش.

ونخبة المجتمع الواعية من علماء وخطباء ومفكرين وأدباء، هم الجهة المسؤولة المعنية بإنتاج وتوفير هذه الثقافة المطلوبة.

من هذا المنطلق وعلى هذا الصعيد يمارس سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله عطاءه الثقافي الواعي عبر الكتابة والخطابة والحضور الاجتماعي المكثّف.

هذه السلسلة من الكتيبات هي تحرير لبعض المحاضرات التي ألقاها في مناسبات مختلفة، قام القسم الثقافي في مكتب سماحته بكتابتها وإعدادها للنشر، آملين أن تسهم في نشر الوعي، وتدوير الأفكار البناءة، والتنوير الثقافي للمجتمع.

راجين لسماحته من الباري عزوجل مزيد العطاء إنه ولي التوفيق.

نهج التسامح الاجتماعي

من أبرز صفات الإمام الحسن عليه السلام التي عرف بها صفة الحلم، حيث اشتهر عنه أنه (حليم أهل البيت)، روى المدائني عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ؟ قال مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[1].

وهذه الصفة في الحقيقة هي منهج للتعامل الاجتماعي، عمل الإمام على إرسائه في حياته، وعلى أتباعه ومحبيه أن يقتدوا به في هذا المنهج.

إننا يجب أن نقرأ حلم الإمام الحسن عليه السلام كمنهج في التسامح الاجتماعي، ونعمل على تأهيل المجتمع بهذه الصفة.

ولابد لنا أن نشير إلى أن أهل البيت عليهم السلام كلهم يتصفون بالحلم، إلا أن الظروف التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام اقتضت وساعدت على بروز هذه الصفة في شخصيته بشكل أجلى وأوضح، فالإمام كان يواجه تشنجات واستفزازات من جهتين:

الجهة الأولى:

خارجية، وتتمثل في معاوية بن أبي سفيان، وجبهة الشام، حيث

---

(1) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة ج١٦ ص١٣ دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

سعى بكل جهده وقوته، وإمكانيات سلطته وحكمه، إلى أن يشوّه سمعة الإمام الحسن، لعزله شعبياً، فعمل على إثارة الدعايات والإشاعات الكاذبة والمغرضة على الإمام الحسن عليه السلام، وعلى أبيه أمير المؤمنين، واستطاع نتيجةً لذلك أن يوجد تياراً في الشام يكره أهل البيت عليهم السلام، حتى لقد صدق بعضهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يصلي!!

ولقد كان معاوية يتعمد كثيراً أن يُسمع الحسن وفي حضوره بعض الاستفزازات، وكان بعض أتباعه والمقربين منه كمروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، يقومون بمثل هذا الدور.

الجهة الثانية:

داخلية، حيث إن قرار الإمام بالصلح مع معاوية، والذي فرضته عليه الظروف، ورعاية مصلحة الأمة، أثار مشاعر بعض المحيطين بالإمام، ونظروا إلى الصلح على أنه موقف ذل وخنوع واستسلام، فراحوا يوجهّون لومهم العنيف، وعتابهم الشديد، وبعبارات مسيئة وغير لائقة.

فهذا حجر بن عدي الصحابي الجليل يخاطبه قائلاً: «أما واللّه لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك » . وعدي بن حاتم يقول: «أخرجتنا من العدل إلى الجور». وبشير الهمداني وسليمان بن صرد الخزاعي يدخل كل منهما عليه هاتفاً: «السلام عليك يا مذل المؤمنين». وخاطبه بعض أصحابه قائلاً: «يا بن رسول اللّه أذللت رقابنا بتسليمك الأمر إلى هذا الطاغية»[1].

---

(1) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٨٢، دار الكتب العلمية- قم.

وجاء في (الإصابة): «كان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار المؤمنين. فيقول: العار خير من النار »[1].

ومثل هذه الكلمات لا شك أنها تستفز الإنسان، وتؤجج غيضه، لكن الإمام الحسن واجهها بحلم وأناة بالغين، واستطاع بذلك امتصاص الآثار والنتائج السلبية، التي يمكن أن تتمخض عنها، لقد كانت جبهة الإمام الحسن بحاجة إلى التماسك والتلاحم، فهناك شروط على معاوية أن ينفذّها، لكنه إذا رأى جبهة الإمام متشتتة مختلفة، ومكانة الإمام مهزوزة في وسط جماعته، فإن ذلك سيشجعه أكثر على تجاهل تلك الاتفاقات، وهو لم يكن في الأساس عازماً على الوفاء بها.

الحلم لغة واصطلاحاً:

مصدر حَلُمَ فلان أي صار حليماً، قال ابن فارس الحِلم: خلاف الطيش، وقال الجوهري الحِلم الأناة، ويقال: حَلَمَ الرجل في منامه يَحَلُمُ حُلْماً، إذا رأى رؤيا، وحَلُمَ يَحلُمُ حِلماً تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة.

واصطلاحاً: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب كما يقول الراغب[2].

قيل للإمام الحسن عليه السلام: ما الحلم؟ قال: «كظم الغيظ وملك النفس»[3]، أي أن يسيطر الإنسان على نفسه، حينما يواجهه الآخر

(1) العسقلاني: ابن حجر، الإصابة ج٢ ص٧٢ الطبعة الأولى ١٩٩٢م دار الجيل – بيروت.
(2) مجموعة من المختصين: موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ص ١٧٣٥ الجزء الخامس، الطبعة الاولى ١٩٩٨م دار الوسيلة، جدة.
(3) المجلسي: محمد باقر، بحار الانوار ج٧٥ ص١٠٢.

بتصرف مستفز، ذلك أن غريزة الغضب تتحرك عنده، لتحميه من الاستفزاز الموجه إليه.

ولكن الحليم هو من يتحكم في توجيه هذه الغريزة، ولا يستخدمها إلا في ظرفها المناسب، لأن إتاحة الفرصة لهذه الغريزة أن تنفجر على شكل تصرف غاضب، قد يضر الإنسان بدلاً من أن يفيده.

وكم من مظلوم تصرف تصرفاً طائشاً، وتحول بسبب ذلك التصرف إلى ظالم مدان، فأعطى الفرصة لعدوه، يقول الإمام علي عليه السلام: «الغضب شر إن أطلقته دمّر»[1].

إن الغضب في الحقيقة هو نتيجة استثارة خارجية، يستقبلها الإنسان، فتحفزّه على اتخاذ رد فعل غاضب.

وللتحكم في هذه الغريزة، ولتوجيهها التوجيه المناسب، تنصح التوجيهات الإسلامية بذكر اللّه تعالى، ففي الحديث القدسي «يا بن آدم اذكرني حين تغضب»[٢]، وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد، وحلمه عنهم، وإذا قيل لك اتق اللّه، فانبذ غضبك، وراجع حلمك»[٣].

وليس أروع من أن يداوي الإنسان ثورة غضبه، بلجوئه إلى العبادة، فصلاة ركعتين قربة إلى اللّه تعالى بإخلاص وخشوع، لاشك أنها ستنقل الإنسان إلى الاتصال بعالم الكمال والروحانية، حيث يستلهم الإنسان من خالقه فيوضات رحمته، وألطاف كرامته.

---

(1) الامدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج٢ ص٣٠٤.
(٣) ابن شعبة الحراني: الحسن بن علي، تحف العقول ص١٨.

كما تنصح بعض الروايات بالانتقال من حال إلى حالة أخرى عند الغضب. عن أبي ذر أن رسول اللّه ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[1].

والهدف من ذلك، هو تفريغ شحنات الغضب في حركة لا ضرر فيها. وفي حديث عن الرسول ﷺ أنه ينصح بالوضوء قال ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء،فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[2].

أضرار الانفعال والتشنّج:

تسود البعض من الناس حالة من التشنج والانفعال السريع، لأتفه الأسباب،كما يفسح المجال لفورة غضبه أن تأخذ مداها العنيف، وهذه الحالة سيئة ومضرة، وأهم نتائجها السيئة أمران:

أولاً: الأضرار الصحية، حيث تشير التقارير الطبية، إلى أن الغضب والانفعال، يعتبر من الأسباب الرئيسية لأمراض السكري، وضغط الدم، وأمراض القلب، ولهذا فإن أهم ما يوصي به الأطباء هؤلاء المرضى، هو السيطرة على النفس، وعدم الانفعال.

ثانياً: إضعاف حالة التماسك الاجتماعي، حيث ينشغل أفراد المجتمع بمشاكلهم الجزئية والثانوية، التي تذكيها حالة التشنج، وفي غمرة كل ذلك تتلاشى الأهداف والطموحات الكبيرة، التي كان ينبغي أن ينشغل الكل بها، فيتأخر تحقيق المجتمع للأهداف والمصالح العامة، بسبب الانشغال بالخلافات الهامشية.

---

(١) السجستاني: أبو داود سليمان بن الاشعث، سنن ابي داود ج٢ ص٦٦٤ حديث رقم ٤٧٨٢.
(٢) المصدر السابق حديث رقم ٤٧٨٤.

الحلم منهج اجتماعي:

تارة يكون الحديث عن الحلم باعتباره صفة فردية حميدة، وتارة يبحث الحلم كحالة اجتماعية عامة ما، بين آحاد أفراد المجتمع، وبين التكتلات والتجمعات فيه.

إذ من الواضح أن في كل مجتمع تقسيمات اجتماعية متفاوتة، مناطقية وسكنية، أو عشائرية وقبلية، أو فكرية ومذهبية، أو انتماءات سياسية، وما أشبه.

والسؤال كيف يجب أن تكون العلاقة بين كل مجموعة وأخرى؟

إن شيوع حالة التشنج والغضب يؤثر على علاقة هذه الانتماءات، فتقاطع كل فئة الأخرى، أو توجه بعضاً من جهودها للمناوأة و التخريب على الجهة الأخرى.

أما إذا ساد الحلم، وشاع التسامح بين التجمعات والتوجهات، تحول الحلم حينئذ إلى منهج اجتماعي عام، وآتى ثماره في تحقيق وحدة المجتمع وانسجامه، وتوجه جهوده وطاقاته نحو الأهداف الكبيرة، والتحديات الخطيرة.

ومن الملاحظ أن الخلافات والصراعات بين الجماعات، عادة تحدث بسبب تصرفات فردية متشنجة، لدى هذا الطرف أو ذاك، فيتعامل معها الطرف الآخر بنظره تعميمية، ويتخذ رد فعل على أساسها.

كيف نتعامل مع التشنجات الفئوية؟

أولاً: عدم تعميم الإساءة، ومحاسبة كامل الجماعة عليها.

ثانياً: بث روح التسامح، والإغضاء عن الإساءات، التي قد تصدر

من هذه ضد تلك وبالعكس، حيث ينبغي أن يتصف أفراد وقادة الجماعات بالحلم، لأن تلك الإساءة قد تكون نتيجة لسوء فهم أو التباس، أو لأن جهة ما تريد أن تخلق مشكلة بين الطرفين.

ثالثاً: عدم رفع وتيرة الاختلاف الفكري والثقافي إلى مستوى الخلاف والنزاع. ونشر ثقافة التعددية والقبول بالرأي الآخر.

إن تضخيم الخلاف حول بعض القضايا الجانبية، كثبوت هلال شهر رمضان أو العيد، أو اختيار مرجع تقليد، أو تبني هذه الفكرة أو تلك، واعتبار مثل هذه القضايا الجزئية حدوداً فاصلة بين الإيمان والكفر، والعدالة والفسق، أمر خاطئ ناشئ من الجهل أو سوء الخلق.

نهج الإمام الحسن:

لقد كان الحلم منهجاً سلوكياً، ومعلماً بارزاً، في حياة الإمام الحسن عليه السلام، وكان يتعامل به في مقابل الاستفزازات الفردية العادية، ومع ذوي التوجهات المخالفة له، والمختلفة معه، وكشاهد على المنحى الأول: يروى أنه كانت عنده عليه السلام شاة فوجدها يوماً قد كسرت رجلها، فقال لغلامه: من فعل هذا بها؟.

قال الغلام: أنا.

قال الإمام: لم ذلك؟

قال الغلام: لأجلب لك الهم والغم.

فتبسّم عليه السلام، وقال له: لأسرك، فأعتقه وأجزل له في العطاء[1].

وضمن المنحى الثاني، ينقل المؤرخون: أنه اجتاز على الإمام

(1) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن ج١ ص٢١٤.

شخص من أهل الشام، ممن غذّاهم معاوية بالكراهية والحقد على آل البيت، فجعل يكيل للإمام السب والشتم، والإمام ساكت لم يرد عليه شيئاً من مقالته، وبعد فراغه التفت الإمام فخاطبه بناعم القول، وقابله ببسمات فياضة بالبشر، قائلاً:

«أيها الشيخ: أظنك غريباً؟ لو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أطعمناك وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك» ومازال عليه السلام يلاطف الشامي بهذا ومثله ليقلع روح العداء والشر من نفسه حتى ذهل ولم يطق رد الكلام، وبقي حائراً خجلاً كيف يعتذر للإمام وكيف يمحو الذنب عنه؟ وطفق يقول:«اللّه أعلم حيث يجعل رسالته»[1].

إن مما يساعد على اتخاذ الموقف الحليم فهم الطرف المقابل، ومعرفة الظرف النفسي والفكري الذي يحيط به، فإذا فهمت أنه مضلل، أو مُعبّأ، وأنه هو الآخر ضحية لعدو واحد، كنتَ أقدرَ على السيطرة على الموقف، وتحويله لصالحك، لا لصالح عدوكما.

ولهذا فإن العاقل هو الذي يملك الحلم، يقول علي عليه السلام: «بوفور العقل يتوفر الحلم»[2].

ويقول: «عليك بالحلم فإنه ثمرة العلم»[3].

ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى

(1) المصدر السابق ص٣١٤-٣١٥.
(2) الامدي التميمي: عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم.
(3) المصدر السابق.

شيء أفضل من حلم إلى علم»[1]، فالعالم هو الـذي ينبغـي أن يتحلـى بالحلم، لأنه يتفهم سلبيات الجاهلين، ودوافع أخطائهم.

ويحدث أحياناً أن يفد علـى المجتمـع أفـراد مـن مجتمعـات أخـرى، يحملون معلومات وأفكاراً مضللة حول المجتمع وأفكاره وعقائده.

فـإذا كـان الشـخص المقابـل لهـم واعيـاً، يعـرف أنهـم بسـطاء ومضللون، فإنه يستوعب أولاً الصدمة التي يحدثها كلامهم، ثم يبدأ في تغيير تلك الصورة المشوهة، ويعطي للوافد بأخلاقه وسلوكه مثالاً حياً على خطأ تصوراته السابقة.

أما إذا كان من يقابله شخصية متشـنجة، فسـوف يسـتفزها ذلـك الكلام لترد عليـه بكـلام أقسـى وباتهامـات ونعـوت مضـادة، وهـذا الأسلوب غالباً ما يؤدي إلى تأكيد التصورات الخاطئة عن المجتمع.

ومن المثير للدهشة والعجب أحياناً، أن يعتـبر هـؤلاء الأشـخاص تصرفاتهم المتشنجة تلك بطولات وإنجازات، تستحق الذكر والإشادة، فترى بعضهم يحدثك عنها وكأنه انتصر على عدو، وهو لا يعلـم أنـه بذلك أكدّ هزيمته.

ففي الحديث عن الرسـول ﷺ: «لـيس الشـديد بالصـرعة، إنمـا الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[2].

وفي ذكرى الإمام الحسن عليه السلام ما أحوجنا إلى قراءة سيرته العطـرة، والتزام خطه الرسالي، والأخذ بمنهجه في التسامح الاجتماعي، لتسود أجواءنا المحبة والوئام، ولنتوجه لمواجهة الأعداء والأخطار صفّاً كالبنيان

---

(1) المجلسي: محمد باقر، بحار الانوار ج٢ ص٤٦.
(2) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج٧ ص٢٣٤.

المرصوص.



أبيض

من المعالم البارزة في سيرة الإمام الحسن عليه السلام، والصفات المميزة لشخصيته العظيمة، اهتمامه برعاية الفقراء، وجوده وسخاؤه، على المحتاجين والمعوزين، حتى اشتهر بصفة (كريم أهل البيت) وكلهم كرماء أسخياء، لكن الظروف الاجتماعية، ساعدت على بروز هذه الصفة الجليلة في شخصيته أكثر.

ظروف تنتج الفقر:

صحيح أنه لا يكاد يخلو مجتمع من وجود الفقر والفقراء، الذين لا يستطيعون تأمين احتياجاتهم بجهودهم الذاتية، إما لعجز لديهم يمنعهم من العمل والكسب، أو لأن ظروفاً اجتماعية تحرمهم فرص الحركة والإنتاج، وتعوّق نشاطهم الطبيعي.

لكن بعض الظروف الاجتماعية غير العادلة، قد تزيد من رقعة الفقر، وتضاعف عدد الفقراء، وهذا ما حصل في عهد الإمام الحسن عليه السلام.

١ـ فالسياسة الاقتصادية التي اعتمدها الأمويون، كانت على حساب مصالح الناس وأرزاقهم، وكانت مخالفة لسياسة الخلافة الراشدة التي عرفها المسلمون قبل الحكم الأموي.

يتحدث الشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه (الخلافة والملك) عن

التغيرات التي أحدثها الأمويون بعد الخلافة الراشدة فيقول تحت عنوان (التغير في وضع بيت المال):

«والتغير الثالث ـ وهو تغير هام ـ وقع في تصرف الخلفاء في بيت المال، فلقد كان بيت المال ـ كما هو في التصور الإسلامي ـ أمانة الخلق والخالق لدى الخليفة وحكومته، لا حق لأحد ـ أياً كان ـ في التصرف فيه حسب مزاجه، فما كان في استطاعة الخليفة أن يدخل فيه أو يخرج منه مليماً واحداً خلافاً للشرع، فالخليفة هو المسؤول عن إدخال أو إنفاق كل مليم في بيت المال، ولكن لا حق له فيه سوى راتبه فقط، الذي يكفي لمعيشة متوسطة لا فقيرة ولا مترفه. أما في عصرهم (الأمويين) فقد تبدل هذا التصور وأصبحت خزانة الدولة ملكاً للسلطان وأسرته وما على الرعية سوى أن تدفع له الخراج دون أي حق في المساءلة..

يروي ابن الأثير أن عمال الحجاج بن يوسف ـ والي الأمويين على العراق ـ كتبوا إليه: «إن الذميين يدخلون في دين اللَّه أفواجاً، ثم ينزحون ليقيموا في البصرة والكوفة، فتنقص بذلك الجزية والخراج، فأمر الحجاج بطردهم من المدن، وفرض عليهم الجزية، كما كانت قبل دخولهم في الإسلام. فلما نفذ حكم الحجاج في هؤلاء المسلمين الجدد، كانوا وهم خارجون من البصرة والكوفة يبكون ويصرخون: وامحمداه.. وامحمداه، دون أن يعرفوا إلى من يرفعون شكواهم من هذا العسف، الذي وقع عليهم، ولقد استنكر علماء وفقهاء البصرة والكوفة هذا، وبكوا معهم وهم يرحلون من المدن»[1].

(١) المودودي: أبو الأعلى، الخلافة والملك ص١٠٢ ـ ١٠٤، الطبعة الأولى ١٩٧٨م دار القلم ـ

ويقول المؤرخ الدكتور حسن إبراهيم حسن: «زادت الضرائب في عهد بني أمية على ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين. فلم يراع الخلفاء الأمويون القواعد التي قررها أسلافهم، بل جاوزوا حدودها، وقد كتب معاوية إلى وردان عامله على مصر: (أن زد على كل امرئ من القبط قيراطاً، فكتب إليه وردان: كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم؟) وكانت الحال كذلك في سائر الولايات الإسلامية، وقد صادر أحد إخوة الحجاج أملاك الأهالي ببلاد اليمن، وأثار حنقهم وسخطهم بفرضه ضريبة معينة عدا العشر الذي قرره الإسلام»[1].

٢ـ من ناحية أخرى فقد حصدت معارك الحرب التي نشبت في عهد الإمام علي عليه السلام عشرات الألوف من المسلمين، فحرب الجمل بلغ عدد ضحاياها حوالي عشرين ألفاً، وحرب صفين أكثر من سبعين ألفاً، وحرب النهروان ما يزيد على أربعة آلاف، وقد خلف هؤلاء الضحايا، أسرهم أرامل وأيتاماً، في حاجة للمساعدة والرعاية.

٣ـ كما أعلن معاوية الحرب الاقتصادية على أتباع أهل البيت عليهم السلام، حيث كتب إلى عماله وولاته على جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه[2].

وكثيراً ما كان الأنصار يمكثون بلا عطاء ولا ذنب لهم إلا أنهم ينصرون أهل البيت عليهم السلام وكان من جملة الأساليب التي أتبعها معاوية

بيروت.

(١) حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام ج١ ص ٤٧٤، الطبعة السابعة ١٩٦٤ مكتبة النهضة المصرية.

(2) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة ج١١ ص٤٥ دار الجيل - بيروت ١٩٨٧م.

لحمل الحسين على بيعة يزيد ـ بولاية العهد ـ حرمان جميع بني هاشم من عطائهم حتى يبايع الحسين[1].

رعاية الإمام:

هكذا وجد الإمام الحسن ﵇ نفسه في مجتمع كثر فيه المعوزون وذوو الحاجات، والضمير الإنساني الذي يحمله الإمام، ومعرفته الحقيقية والكاملة بمبادئ الدين ومقاصده، وموقعيته القيادية كإمام وراع حريص على مصلحة الإسلام والمسلمين.. كل ذلك يجعله في موقع المهتم والمتصدي لهذه الحالة الاجتماعية، ولا يمكنه أن يأخذ موقف اللامبالاة، أو الاهتمام الجزئي المحدود، لذا نذر الإمام نفسه، ووظف إمكاناته وما تحت يده، لمساعدة من حوله من فقراء المجتمع ومحتاجيه.

وحينما اضطرته الظروف للصلح مع معاوية، كان مستقبل هؤلاء الفقراء والمحتاجين، وخاصة الذين جاءت معاناتهم كإفراز لتلك الظروف غير العادلة، كان ذلك ماثلاً في تفكيره ورؤيته، لذا نجد الإمام يخصص مادة من بنود اتفاقية الصلح، لمصلحة هؤلاء المتضررين، بالنص على التزامات مالية محدّدة. كما جاء في المادة الرابعة من معاهدة الصلح ما يلي: «استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألف ألف درهم، وأن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وان يجعل

(1) شمس الدين: الشيخ محمد مهدي، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية ص ٥٧ دار الأندلس - بيروت.

ذلك من خراج دار أبجرد»[1].

ودار أبجرد: أراضي واسعة بفارس على حدود الأهواز، فتحها المسلمون عنوة، فخراجها أبعد عن شبهات الضرائب الظالمة والأموال الملوثة.

بالطبع فإن معاوية لم يفِ للإمام بتلك الشروط، ولم ينفذ بنود المعاهدة، لكن الإمام كان يبذل ما في وسعه لتخفيف معاناة المحتاجين، وينقل المؤرخون بعض الصور والمواقف من سخاء الإمام الحسن عليه السلام وجوده، نسجل منها اللقطات التالية:

١ـ أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده: «أن الحسن بن علي رضي اللّه عنه خرج عن ماله مرتين، وقاسم اللّه تعالى ماله ثلاث مرات».

٢ـ وروى الشبلنجي في نور الأبصار، وابن خلكان في وفيات الأعيان: أن الإمام الحسن سئل: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً، وإن كنت على فاقة، فقال: «إني للّه سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي من أن أكون سائلاً، وارِدّ سائلا، وإن اللّه تعالى عودني أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت عادتي، أن يمنعني عادته».

٣ـ وأخرج ابن كثير عن محمد بن سيرين قال: «ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف».

٤ـ قال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو

(1) آل ياسين: الشيخ راضي، صلح الحسن ص٢٥٣ مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٥٣م.

اللَّه أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه.

٥ـ وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: أني استحي أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيّده فاشتراه واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه، فأعتقه وملكّه الحائط.

٦ـ وروى الشبلنجي: أن رجلا شكا إلى الإمام الحسن حاله، فدعا الحسن ﷺ وكيله، فجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها، وأحضر له ما فاض عن ذلك، وقدره خمسون ألف درهم، ثم قال له: ما فعلت بالخمسائة دينار التي معك؟ قال: عندي، قال الحسن ﷺ: فأحضرها. فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل، واعتذر منه. وأخرج اليافعي في مرآة الجنان: أن الإمام الحسن قال للرجل: ائتِ بجمال تحمل لك، فأتى بجمال فأعطاه طيلسانه، وقال: يكون كراء الجمال من قبلي.

٧ـ وقد روي أنه ﷺ اشترى بستاناً من الأنصار بأربعمائة ألف، ثم بلغه بعد ذلك أنهم قد احتاجوا إلى ما في أيدي الناس، فرده إليهم[1].

٨ـ وكان عليه السلام يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً   بمن فضله فرض علي معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل   وأفضل أيام الفتى حين يُسأل

(1) مهران: الدكتور محمد بيوّمي، الإمام الحسن بن علي ص١٤١ دار النهضة العربية - بيروت١٩٩٠م.

٩ـ جاءه أعرابي سائلاً فقال ﷺ: أعطوه ما في الخزانة، وكان فيها عشرة آلاف درهم، فقال له الأعرابي: يا سيدي هلا تركتني أبوح بحاجتي، وانشر مدحتي؟ فأجابه الإمام:

نحن أناس نوالنا خضل   يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا   خوفاً على ماء وجه من يَسل

١٠ـ وجاءه فقير يشكو حاله، ولم يك عنده ﷺ في ذلك اليوم شيء فعز عليه الأمر، واستحى من رده، فقال ﷺ له: أني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير: يا ابن رسول اللَّه ما هو؟ قال ﷺ اذهب للوالي فإن ابنته قد توفيت وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية بليغة، فعزه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال: يا ابن رسول اللَّه حفظني إياها. قال ﷺ: قل له: الحمد للَّه الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك، وحفظ الفقير الكلمات وجاء إلى الوالي فعزاه بها، فذهب عنه حزنه، وأمر له بجائزة وقال له: أكلامك هذا؟ قال: لا وإنما هو كلام الإمام الحسن. قال: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى [1].

إخراج الفقراء من الفقر:

ما هي مسؤولية المجتمع تجاه الفقراء؟

إن تعاليم الدين واضحة في رفض حالة الفقر ومكافحتها، بنفس درجة رفض الكفر ومقاومته، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كاد

---

(1) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن ج١ ص٣١٦.

الفقـر أن يكون كفرا»[1] وكان يقول ﷺ : «اللّهم أني أعوذ بك مـن الكفر والفقر» فقال رجل: أيعدلان؟ قال ﷺ :«نعم»[2].

وعنه ﷺ: «الفقر أشد من القتل»[3].

وقال الإمام علي عليه السلام: «الفقر الموت الأكبر»[4].

إن بقاء الفقراء على حالة الفقر يكشف عن خلل كبير في التوازن الاجتماعي، وعن فقدان العدالة والتكافل، ذلك أن اللَّه تعالى الـذي خلق الناس تكفل بمعيشة ورزق كل واحد منهم، بل وكل كائن حي.. يقـــــول تعــــــالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[5].

ويقول الإمام علـي عليه السلام: «عيالـه الخلـق، ضـمن أرزاقهـم، وقـدر أقواتهم»[6].

وهذا الرزق مودع في كنوز الكون وخيراته، فعلـى كـل إنسـان أن يعمل لاستخراج حصته، ولكـن مـن لا تسـاعده ظروفـه الجسـمية أو الاجتماعية على أن يأخذ حصته من خيرات الكون مباشرة، هل يسقط حقه ويعيش محروماً؟ كلا.. وإنما فرض اللَّـه تعـالى علـى القـادرين أن يعطوا ذلك الفقير ما يسد حاجتـه، يقـول تعـالى :﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ

(1) الهندي: علي المتقي، كنز العمال حديث رقم ١٦٦٨٢.
(2) المصدر السابق، حديث رقم ١٦٦٨٧.
(3) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٤٧.
(4) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة - حكم ١٦٣.
(5) سورة هود الآية٦.
(6) المصدر السابق، خطبة رقم ٩١.

﴿حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[1]. فإذا امتنع القادرون عن إعطاء الفقراء حاجتهم ومعيشتهم، فذلك ظلم واعتداء. يقول الإمام علي عليه السلام: «إن اللّه سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني، واللّه تعالى سائلهم عن ذلك»[2].

والمطلوب ليس فقط تقديم شيء من المساعدة للفقير، وإنما إخراجه من حالة الفقر، وهذا ما نلحظه من سيرة الإمام الحسن عليه السلام، وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإذا ما جاءهم فقير، أعطوه بسخاء، ما يستعين به على تسيير أمور حياته، وما كانوا يعطون الفقراء (قوت لا يموت) على حد التعبير الشعبي، أو بالقطارة.. واللقطات التي ذكرناها عن كرم الإمام الحسن عليه السلام شاهد على ذلك.

إن الفقير في الاصطلاح الشرعي هو (من لا يملك مؤونة السنة له ولعياله) فعلاً أو قدرة على الكسب، والمؤونة شاملة لكل احتياجاته من «دار السكنى والخادم وفرس الركوب المحتاج إليه بحسب حاله، ولو كانت متعددة مع الحاجة إليها، وكذا الثياب والألبسة الصيفية والشتوية، السفرية والحضرية، ولو كانت للتجمل، وأثاث البيت، من الفروش والظروف، وسائر ما يحتاج إليه..»[3].

ومن فتاوى فقهاء الإسلام حول الزكاة والخمس يتبين أن المفترض أن يعيش الإنسان ضمن (حد الكفاية) وليس (حد الكفاف) فقط، و (حد الكفاف) هو الحد الأدنى للمعيشة من مأكل وملبس ومأوى، مما

---

(1) سورة الذاريات الآية١٩.

(2)المصدر السابق، حكم ٣٢٨.

(3) اليزدي: السيد محمد كاظم، العروة الوثقى مسألة ٣ - أصناف المستحقين للزكاة.

بدونه لا يستطيع المرء أن يعيش وينتج، فهو غير قابل للنقصان، ولا يختلف باختلاف القوى الشرائية في كل زمان ومكان، إنه يعني الضروريات الأساسية فقط. بينما (حد الكفاية) يعني أن يعيش ضمن المستوى المعيشي السائد في المجتمع، ومن ثم فهو يختلف باختلاف مستوى التقدم في كل زمان ومكان، وحسب موقعية الفرد ومكانته.

بل أفتى السيد اليزدي في الزكاة أنه «يجوز أن يعطى الفقير أزيد من مقدار مؤونة سنته دفعة، فلا يلزم الاقتصار على مؤونة سنة واحدة، وكذا في الكاسب الذي لا يفي كسبه بمؤونة سنته، أو صاحب الضيعة التي لا يفي حاصلها، أو التاجر الذي لا يفي ربح تجارته بمؤونة سنته لا يلزم الاقتصار على إعطاء التتمة، بل يجوز دفع ما يكفي لسنين، بل يجوز جعله غنياً عرفياً وإن كان الأحوط الاقتصار»[1].

وكل الفقهاء المسلمين يرون إعطاء الفقير كفايته لسنة، ويرون إعطاء من كان له دخل من عمل أو تجارة لكن دخله لا يكفي لحاجات حياته، حسب مستوى المعيشة السائد في المجتمع، وإنما الخلاف في إعطاء ما يزيد على كفاية السنة الكاملة.

المطلوب: كفاية الفقير

تقوم الجمعيات الخيرية في بلادنا بدور إيجابي فعال لمساعدة الفقراء، والتخفيف من معاناتهم، وكذلك لجان كافل اليتيم، حيث تهتم برعاية الأيتام، كما تأسست صناديق خيرية للزواج، وهي أنشطة تستحق الشكر والتقدير، فالقائمون عليها متطوعون، يبذلون جهدهم

---

(1) المصدر السابق مسألة ٢.

ووقتهم لخدمة هذه الفئات الضعيفة في المجتمع، فجزاهم اللّه خير الجزاء، لكن ما ينبغي التفكير فيه هو الوصول بالفقراء والمحتاجين إلى حد الكفاية، أو على الأقل حدّ الكفاف بسدّ كامل احتياجاتهم، وليس مجرد تقديم المساعدة المحدودة لهم..

فمثلاً تعطي الجمعيات الخيرية ـ في المنطقة ـ للعائلة المكونة من حوالي عشرة أشخاص مبلغاً يتراوح بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ريال سعودي في السنة، عدا المساعدات الطارئة الموسمية، وواضح أن هذا المبلغ لا يكاد يكفي لمصروفات شهر واحد لعشرة أشخاص إذا أخذنا مستوى المعيشة في بلدنا بعين الاعتبار!!

كما تقدر الجمعيات مبلغ كفالة اليتيم شهرياً ٢٠٠ ريال عدا المساعدات الأخرى.

وتعطي صناديق الزواج الخيرية مبلغاً لا يغطي ثلث نفقات الزواج!!

بالطبع فإن ذلك راجع إلى محدودية ميزانيات هذه المؤسسات الخيرية، والمطلوب أن يتفاعل أهل الخير أكثر مع هذه المؤسسات ليرتفع مستوى إيراداتها، والعاملون ضمن هذه المؤسسات عليهم أن يضاعفوا جهدهم ونشاطهم لتوفير أكبر قدر من الإيرادات، كما أن على المتصدين للحقوق الشرعية من الزكوات والأخماس، أن يلتفتوا أكثر لحاجات الفقراء والمعوزين في المجتمع. حتى ينالوا الرعاية الكاملة، ويتوفر لهم حد الكفاية في معيشتهم، ولا يحتاج الواحد منهم إلى بذل ماء وجهه أمام أكثر من جهة وشخص، فالاهتمام بالفقراء والمحتاجين هو مقياس التدين الصادق، كما يقول تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [1].

(1) سورة الماعون الآية١,٢,٣.